

تفريغ حلقات

محال السريان

في التعليق على

تفسير الحافظ بن كثير لأيات من القرآن الكريم

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً

قام بها

فريق التفريغ بموقع ميراث الأنبياء



miraath.net

ميراث الأنبياء

www.miraath.net

المتن:

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

قال الله - تعالى -: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نُنظُرُونَ ﴿البقرة: ٤٩ - ٥٠﴾

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله تعالى - يقول تعالى: واذكروا يا بني إسرائيل نعمتي عليكم إذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب أي خلصتكم منهم وأنقذتكم من أيديهم صحبة موسى - عليه السلام - وقد كانوا يسومونكم، أي يوردونكم ويذيقونكم ويولونكم سوء العذاب.

وذلك أن فرعون - لعنه الله - كان قد رأى رؤيا هالته، رأى نارا خرجت من بيت المقدس فدخلت بيوت القبط ببلاد مصر، إلا بيوت بني إسرائيل، مضمونها أن زوال ملكه يكون على يدي رجل من بني إسرائيل، ويقال: بل تحدث سماره عنده بأن بني إسرائيل يتوقعون خروج رجل منهم، يكون لهم به دولة ورفعة، وهكذا جاء في حديث الفتون، كما سيأتي في موضعه [في سورة طه] - إن شاء الله تعالى -، فعند ذلك أمر فرعون - لعنه الله - بقتل كل ذي ذكر يولد بعد ذلك من بني إسرائيل، وأن تترك البنات، وأمر باستعمال بني إسرائيل في مشاق الأعمال وأرذلها.

وهاهنا فسر العذاب بذبح الأبناء، وفي سورة إبراهيم عطف عليه، كما: ﴿يَسْأَلُونَكَ سَاءَ الْعَذَابِ
 وَيَدَّيْحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ إبراهيم: ٦ وسيأتي تفسير ذلك في أول سورة القصص -
 إن شاء الله تعالى - وبه الثقة والمعونة والتأييد ومعنى ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ أي: يولونكم، قاله أبو عبيدة،
 كما يقال: سامه خطة خسف إذا أولاه إياها، قال عمرو بن كلثوم:

إِذَا مَا لِمَلِكٍ سَامَ النَّاسِ خَسْفًا أُوَيْسًا أَنْ نَقَرَ الْخَسْفَ فِينَا

وقيل: معناه: يديمون عذابكم، كما يقال: سائمة الغنم من إدامتها الرعي، نقله القرطبي، وإنما
 قال هاهنا: ﴿وَيَدَّيْحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ ليكون ذلك تفسيراً للنعمة عليهم في
 قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ سَاءَ الْعَذَابِ﴾ ثم فسره بهذا لقوله هاهنا: ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ البقرة: ٤٠
 وأما في سورة إبراهيم فلما قال: ﴿وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِنَا اللَّهُ﴾ إبراهيم: ٥، أي: بأياديهِ ونعمه عليهم فناسب
 أن يقول: هناك ﴿يَسْأَلُونَكَ سَاءَ الْعَذَابِ وَيَدَّيْحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ فعطف عليه
 الذبح ليدل على تعدد النعم والأيدي.

وفرعون علم على كل من ملك مصر كافراً من العماليق وغيرهم، كما أن قيصر علم على كل من
 ملك الروم مع الشام كافراً، وكسرى لكل من ملك الفرس، وتبع لمن ملك اليمن كافراً،
 والنجاشي لمن ملك الحبشة، وبطليموس لمن ملك الهند، ويقال: كان اسم فرعون الذي كان في
 زمن موسى - عليه السلام - الوليد بن مصعب بن الريان، وقيل: مصعب بن الريان، فكان من

سلالة عمليق بن داود بن إرم بن سام بن نوح، وكنيته أبو مرة، وأصله فارسي من استخر، وأيا ما كان فعلية لعنة الله.

وقوله تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ قال ابن جرير: وفي الذي فعلنا بكم من إنجائنا إياكم مما كنتم فيه من عذاب آل فرعون بلاء لكم من ربكم عظيم. أي: نعمة عظيمة عليكم في ذلك.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ قال: نعمة. وقال مجاهد: ﴿بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ قال: نعمة من ربكم عظيمة. وكذا قال أبو العالية، وأبو مالك، والسدي، وغيرهم.

وأصل البلاء: الاختبار، وقد يكون بالخير والشر، كما قال تعالى: ﴿وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ الأنبياء: ٣٥، وقال: ﴿وَبَلَّوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ﴾ الأعراف: ١٦٨ قال ابن جرير: وأكثر ما يقال في الشر: بلوته أبلوه بلاء، وفي الخير: أبلوه إبلاء وبلاء، قال زهير بن أبي سلمى:

جزى الله بالإحسان ما فعلا بكم ○○○ وأبلاهما خير البلاء الذي يبلى

قال: فجمع بين اللغتين؛ لأنه أراد فأنعم الله عليهما خير النعم التي يختبر بها عباده.

وقيل: المراد بقوله: ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ﴾ إشارة إلى ما كانوا فيه من العذاب المهين من ذبح الأبناء

واستحياء النساء؛ قال القرطبي: وهذا قول الجمهور ولفظه بعدما حكى القول الأول،

ثم قال: وقال الجمهور : الإشارة إلى الذبح ونحوه، والبلاء هاهنا في الشر، والمعنى في الذبح مكروه وامتحان.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَجْمَعْنَاكُمْ وَغَرَقْنَاهُ آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾ البقرة: ٥٠

معناه: وبعد أن أنقذناكم من آل فرعون، وخرجتم مع موسى - عليه السلام - خرج فرعون في طلبكم، ففرقنا بكم البحر، كما أخبر - تعالى - عن ذلك مفصلاً كما سيأتي في مواضعه ومن أبسطها ما في سورة الشعراء - إن شاء الله -.

﴿فَأَجْمَعْنَاكُمْ﴾ أي: خلصناكم منهم، وحجزنا بينكم وبينهم، وأغرقناهم وأنتم تنظرون؛ ليكون ذلك أشقى لصدوركم، وأبلغ في إهانة عدوكم.

قال عبد الرزاق: أنبأنا معمر، عن أبي إسحاق الهمداني، عن عمرو بن ميمون الأودي في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾ قال: لما خرج موسى ببني إسرائيل، بلغ ذلك فرعون فقال: لا تتبعوهم حتى تصيح الديكة.

قال: فوالله ما صاح ليلة إذ ديك حتى أصبحوا؛ فدعا بشاة فذبحت، ثم قال: لا أفرغ من كبدها حتى يجتمع إلي ستمائة ألف من القبط، فلم يفرغ من كبدها حتى اجتمع إليه ستمائة ألف من القبط ثم سار، فلما أتى موسى البحر، قال له رجل من أصحابه، يقال له: يوشع بن نون: أين أمر ربك؟ قال: أمامك، يشير إلى البحر. فأقحم يوشع فرسه في البحر حتى بلغ الغمر، فذهب به

الغمر، ثم رجع. فقال: أين أمر ربك يا موسى؟ فوالله ما كذبت ولا كذبت. فعل ذلك ثلاث مرات، ثم أوحى الله إلى موسى: ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ الشعراء: ٦٣ فضربه ﴿فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ الشعراء: ٦٣ يقول: مثل الجبل. ثم سار موسى ومن معه وأتبعهم فرعون في طريقهم، حتى إذا تاموا فيه أطبقه الله عليهم فلذلك قال: ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾ البقرة: ٥٠ وكذلك قال غير واحد من السلف، كما سيأتي بيانه في موضعه. وقد ورد أن هذا اليوم كان يوم عاشوراء،

كما قال الإمام أحمد: قال: حدثنا عفان، قال: حدثنا عبد الوارث، قال: حدثنا أيوب، عن عبد الله بن سعيد بن جبير، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: «قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فَرَأَى الْيَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَقَالَ: مَا هَذَا، قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ فَصَامَهُ مُوسَى، قَالَ: فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ، فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ» وروى هذا الحديث البخاري، ومسلم، والنسائي، وابن ماجه من طرق، عن أيوب السخيتاني، به نحو ما تقدم.

وقال أبو يعلى الموصلي: حدثنا أبو الربيع، حدثنا سلام - يعني ابن سليم - عن زيد العمي عن يزيد الرقاشي عن أنس، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «فلق الله البحر لنبني

إسرائيل يوم عاشوراء» وهذا ضعيف من هذا الوجه فإن زيدا العمي فيه ضعف، وشيخه يزيد الرقاشي أضعف منه.

تعليق التسيب:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ﴾ يُخَاطَبُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾ البقرة: ٤٩ - ٥٠

ذكر الله - سبحانه وتعالى - عددًا من نعمه التي أسبغها على بني إسرائيل، وهم يُقابلون ذلك أو غالبهم بالكفران لا بالشكران، فقد سبق أن ذكر بعض النعم التي أسداها وأسبغها عليهم، وهنا يقول: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ﴾ من نعمنا عليكم أن نجيناكم من آل فرعون، ثم بين من أي شيء نجّاهم؟

قال: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ يُذِيقُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، ثم بين سوء العذاب هذا بقوله: ﴿يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ وهذا ظلمٌ شديد وإهانة شديدة لبني إسرائيل من هذا الطاغية فرعون وقومه تسلطوا على بني إسرائيل ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ وذلك أن فرعون رأى رؤية، رأى أن نارًا خرجت من بيت المقدس يعني وطن بني إسرائيل فأحرقت هذه النار بيوت القبط دون بني إسرائيل فأولها بأن هذا سيكون فيه خراب لملك فرعون وقومه وقيام دولة

بني إسرائيل، وقيل على كل حال سمعتم من تفسير ابن كثير ما يشفي ويكفي إن شاء الله، أسأل الله
تبارك وتعالى أن يوفقنا وإياكم وأن يثبتنا في دينه إن ربنا سمع الدعاء وصلى الله على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه وسلم.

وللاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة والمزيد من الصوتيات يُرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على الرابط

www.miraath.net



ميراث الأنبياء

وجزاكم الله خيرا.